الحلقة الثامنة

يعقوب يخشى على بنيه الحسد فيأمرهم ألا يدخلو مصر من باب واحد

يوسف يهمس لنيامين : أنا أخوك

مؤامرة يوسف لتأخير أخيه بنيامين عنده تنفيذ المؤامرة

إتهام بنيامين بالسرقة وأخذه بها

الآيات القرآنية التى صيغ منها شعر الحلقة الثامنة

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ .

أشعار الحلقة الثامنة

قد أقسم الأبناء للشيخ الكبير ليستكين ١
من ثم قال : توكلوا ، والله للمتوكلين ٢
فلتذهبوا ، يرعاكم المولى ، فكونوا مخلصين ٣
لكن سأوصيكم فكونوا للوصية حافظين ٤
لا تدخلوا مصر العزيزة هكذا متجمعين ٥
ولتدخلوا متفرقين ، أخاف عين الحاسدين ٦
ما شاءه المولى يكون ، قضاء رب العالمين ٧
هو قادر هو قاهر ، هو مالك دنيا ودين ٨
هو صاحب الحكم الذى نرضاه كلاً طائعين ٩
ربى عليه توكُّلى ذاكم شعار المؤمنين ١٠
إن التوكل من صفات المؤمنين العارفين ١١
ذهبوا وقد أخذوا أخاهم ، لم يعودوا خائبين ١٢
عادوا لمصر لكى يؤدوا ما عليهم مسرعين ١٣
وصلوا هنالك أرض مصر مع الوفود الذاهبين ١٤
دخلوا كما أمِروا فكانوا بالوصية عاملين ١٥
رأيًا رآه الشيخ ، ما كانوا له مستغربين ١٦
هى حاجة فى نفسه أفضى بها ، هذا يقين ١٧
أعطاه رب العرش علمًا فوق علم الآخرين ١٨
لله درّك أرض مصر بكل خير تنعمين ١٩
قد كنت دوما بالسيادة والحضارة تُعْرَفين ٢٠
النيل فيك هو الحياة عطاء رب العالمين ٢١
ولأنت أم الشرق دومًا مثل أمّ للبنين ٢٢
تعطينه من كل شىء ، لا بشىء تبخلين ٢٣
لولاك مات الشرق جوعًا منذ آلاف السنين ٢٤
لولاك صار الشرق نهبًا للغزاة الفاتحين ٢٥
واستقبل الصديق إخوته بشوق مع حنين ٢٦
دخلوا عليه فمال نحو أخيه ميل الهامسين ٢٧

أوحى له ، إنـى أخوك ، وصرت فى أمـن أمين ٢٨
من فعلـهم فيما مضـى ، لا تبتئس من حـاقدين ٢٩
قـد أنـزل الصـديـق إخـوتـه نـزول المكـرمـين ٣٠
أعـطى لـهم مـا قد أتـوا من أجـله متكـاملين ٣١
أعطـى لكـل منـهمـو حملاً فصـاروا شاكـرين ٣٢
قـد جـهـزوا أوثـاقـهم بـرًا لِطـعـم الجـائـعـين ٣٣
لـم يبـق إلا أن يـعـودوا بالـغـنيـمـة ظـافريـن ٣٤
لـكـنِ يـوسـف كـان من أعـمـاقـه سـرٌّ دفـين ٣٥
الـسـر يـعـلـمـه إلـه الـعـرش رب الـعـالمين ٣٦
يَنـوى بـأن يُبـقى أخـاه بـحـيـلـة لا تسـتـبـين ٣٧
أوحـى إلى غـلـمـانه قـولا فـصـاروا فاهـمـين ٣٨
قـد غـافـلوا إخـوانـه فـى خـفـة المتسللـين ٣٩
فى رحـل بنـيامين قـد أخفـوا الصواع مـخبـئين ٤٠
إخـوان يوسـف قد تـنادوا لـلرحـيل مـبادريـن ٤١
وإذا المـنادى فـى الـوفـود وصوتـه كـالمـنذريـن ٤٢
نـادى علـى كل الـقوافـل قـائلاً : يـا سارقـين ٤٣
لا تـرحلـوا حـتـى نراكـم بـاحثـين ونـسـتبـين ٤٤
شيـئًا ثمينـا قد فقـدنا ، فاعـلموا العـلم اليـقين ٤٥
إخوان يـوسف ساءهـم ، قول المنـادى المستـهين ٤٦
قالـوا له : مـاذا تريـد ؟! تسـاؤل المسـتفـهمـين ٤٧
ماذا فـقدتم ! أخبـرونا . . ! ولتـكونوا صـادقين ٤٨
لا ، لا تسيـئوا الظن فـينا ، لا تكـونوا مفتـرين ٤٩
قـالوا : فـقدنـا غاليًا ، فـلذا غـدونا سـائلـين ٥٠
ذاكـم صـواع للـمـلـيـك ، وإنـه شيء ثـمـين ٥١
مـن ردّه ، فلـسـوف نشـكـره بأسـلـوب مبـين ٥٢
ويـنال أيـضًا حـمل بُرّ فـوق حمـل الـوافديـن ٥٣
ولسـوف نوفى ، لـن نكون لما وعـدنا جاحـدين ٥٤
قـالوا لـهم : تـاللـه ما كـنا جـمـيـعًا مفـسـديـن ٥٥
نـحن الـكرام بـنو الـكرام مـن الجدود الأولـين ٥٦
أفـما عـلمـتم أنـنـا من آل بـيت المـرسلـين ؟! ٥٧

لسنا بحمد الله خُوّانًا ، ولسنا سارقين ٥٨
قالوا : فإنا سوف نبحث فى الرحال مفتشين ٥٩
إذما وجدنا صاعنا فى رَحْل أحد الوافدين ٦٠
ماذا يكون جزاؤه ؟! فلتحكموا الحكم الأمين ٦١
إخوان يوسف قد أجابوا حيث كانوا غاضبين ٦٢
هذى الرحال فتشوها ، إن تشاءوا باحثين ٦٣
إذا ما وجدتم صاعكم فى رحل أحد السامعين ! ٦٤
فلتأخذوه به لكى يجزى جزاء الخائنين ٦٥
قد سُرَّ يوسف من إجابتهم سرور الفائزين ٦٦
من ثَم صار يُفتش الأحمال تفتيش الأمين ٦٧
بدءًا بأمتعة الكبار ، لكى يظلوا غافلين ٦٨
فى رحل بنيامين كانت دهشة للناظرين ٦٩
وجدوا الصواع مُخبّأ فى رحله ، هذا يقين !! ٧٠
من أجل ما يبغيه يوسف صار كالمتآمرين ٧١
تلكم إرادته تلاقت مع إله العالمين ٧٢
لا ينبغى أخذ البرىء كأخذ بعض المجرمين ٧٣
لكنْ إذا شاء الإله ، فقف وقوف الخاشعين ٧٤
الله يرفع من يشاء إلى مقام المحسنين ٧٥
العلم ليس له كبيرٌ ، فاعلموا العلم اليقين ٧٦
قد تم ما يبغيه يوسف ، إنه كيدٌ متين ٧٧
لكنه كيدٌ أصاب أخاه دون الآخرين ٧٨
أخذوه أخذة سارق ، والكل كانوا ناظرين ٧٩
الكل يفغر فاه دهشًا ، إنه حقًا أهين ٨٠
إذ كون بنيامين يسرق ، قد غدوا مستغربين ٨١
صاروا حيارى ، إنهم بالغيب ليسوا عالمين ٨٢
هم فى تحيرّهم ويوسف فى سرور ، لا يُبين ٨٣
إذ أن يوسف كان محزونًا لعشرات السنين ٨٤
وبقاء بنيامين سوف يُبدّد الحزن الدفين ٨٥
أخَوَان كانا مبعدين ، فأصبحا متقاربين ٨٦
رب السماء هو القدير ، ليجمع المتفرقين ٨٧

يعقوب يخشى على أولاده الحسد

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ... ﴾

قد أقسم الأبناء للشيخ الكبير ليستكين ١
من ثم قال : توكلوا ، والله للمتوكلين ٢
فلتذهبوا ، يرعاكم المولى ، فكونوا مخلصين ٣
لكن سأوصيكم فكونوا للوصية حافظين ٤
لا تدخلوا مصر العزيزة هكذا متجمعين ٥
ولتدخلوا متفرقين ، أخاف عين الحاسدين ٦

لقد أقسم أبناء يعقوب، أمام أبيهم، أقسموا له أن يحافظوا على أخيهم بنيامين ، ولن يفرطوا فيه، ولن يعودوا بغيره، إلا أن يكونوا مغلوبين لقوة أكبر وأقوى من قوتهم. بعد أن أقسموا ، قال لهم: ﴿ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ توكلوا على الله اذهبوا ، يرعاكم الله. ثم أردف قائلاً: لكن قبل أن تبرحوا، أريد أن أوصيكم وصية، أن تحفظوها وتعملوا بها ، فهل أنتم مستعدون لتنفيذ ما أوأصيكم به ؟! قالوا جميعا : نعم يا أبانا ، فوصيتك سوف نحترمها ، وبإذن الله سوف نقوم بتنفيذها . . فما هى تلك الوصية يا أبانا ؟! .

قال: عندُ وصولكم أبواب مصر ، لا تدخلوا كلكم من باب واحد ، ولكن ادخلوا من أبواب متفرقه ، فأنتم يا بنىّ كثيرون ، وذوو هيئات وسمت حسن ، فضلاً عن كونكم أبناء رجل واحد . . لذا فأنا أخشى عليكم عيون الحاسدين .

قال القرطبى فى تفسيره : « لما عزموا على الخروج ، خشى عليهم العين ، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد ، وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً ، لرجل واحد ، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطه »

قال القاضى بيضاوى فى تفسيره : ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ لأنهم كانوا ذوى جمال أوبهة ، مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك ، فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ، ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الأولى، لأنهم كانوا مجهولين حينئذ . . وكان الداعى إليها ، خوفه على بنيامين ، وللنفس آثار ، منها : العين ، والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته : « اللهم إنى أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ،ومن كل عين لامّة ».

قلت : ولهذا السبب كان رسول الله ﷺ ، يأمر العائن بالوضوء ، ومن أصابته العين بالإغتسال من ماء وضوء العائن .

يعقوب يتوكل على الله

﴿ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (٦٧) ﴾ .

ما شاءه المولى يكون ، قضاء رب العالمين ٧
هو قادر هو قاهر ، هو مالك دنيا ودين ٨
هو صاحب الحكم الذى نرضاه كلاً طائعين ٩
ربى عليه توكلُّى ذاكم شعار المؤمنين ١٠
إن التوكل من صفات المؤمنين العارفين ١١

وهكذا ، لقد خاف نبى الله يعقوب ، على بنيه عيون الحاسدين ، فأوصاهم وصيته الخالدة التى سجلها القرآن الكريم، هى: ﴿ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ ولا غرو ، فالعين حق كما أخبر بذلك المعصوم محمد ﷺ حيث قال : « إن العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر » .

وقد روى مالك عن محمد بن أبى أمامة : سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبى سهل بن حنيف بالخرار ـ ماء بالمدينة ـ فنزع جبة كانت عليه ، وعامر بن ربيعة ينظر قال : وكان سهل رجلاً أبيض ، حسن الجلد ، قال فقال له عامر بن ربيعة : ما رأيت كاليوم ، ولا جلد عذراء !! فوعك سهل مكانه ، واشتد وعكه ، فأتى رسول الله ﷺ ، فأخبر أن سهلاً وعك ، وأنه غير رائح معك يا رسول الله . . فأتاه رسول الله ﷺ ، فأخبره سهل بالذى كان من شأن عامر ، فقال رسول الله ﷺ : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟! ألا برّكت ؟! إن العين حق ، توضأ له » فتوضأ عامر ، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس .

وفى رواية « اغتسلْ » فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه ، وأطراف رجليه ، وداخل إزاره فى قدح وصب عليه ، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به

بأس . . لذلك وجب على كل مسلم ، إذا رأى شيئًا أعجبه أن يبرّك أن يقول : بارك الله فيه ، تأثير العين يبطل بإذن الله (١) .

قال ابن كثير فى تفسيره : ﴿ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ أى هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه ، فإن الله إذا أراد شيئًا ، لا يخالَف ولا يمانَع ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ .

وقال الشيخ محمد على الصابونى فى « مع أعلام المفسرين » أى لا أدفع عنكم بتدبيرى شيئًا مما قضاه الله عليكم ، فإن الحذر لا يمنع القدر ، ما الحكم إلا لله جل وعلا وحده ، لا يشاركه أحد ، ولا يمانعه أحد ، عليه وحده اعتمدت : وبه وثقت ، وعليه فليعتمد أهل التوكل والإيمان وليفوضوا أمورهم إليه » .

---

(١) تفسير القرطبى .

أبناء يعقوب يعملون بوصية أبيهم

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦٨) ﴾ .

ذهبوا وقد أخذوا أخاهم ، لم يعودوا خائبين ١٢
عادوا لمصر لكى يؤدوا ما عليهم مسرعين ١٣
وصلوا هنالك أرض مصر مع الوفود الذاهبين ١٤
دخلوا كما أمِروا فكانوا بالوصية عاملين ١٥
رأيًا رآه الشيخ ، ما كانوا له مستغربين ١٦

لقد تحركت قافلة أبناء يعقوب ، وبارحت الديار متجهة صوب مصر ، وكم كانت فرحة أبناء يعقوب، لكون أبيهم تنازل عن رأيه الأول ، الذى أبداه وأجاب به لأول وهلة على طلبهم ، من أنه لن يرسل ولده بنيامين معهم . لقد تنازل الشيخ عن رأيه لاقتناعه بحجة بنيه ، فمن ثم وافق وأرسل بنيامين مع إخوته . عادوا إلى مصر يغذون السير مسرعين ، يريدون الوصول إلى مصر بأسرع من سير الإبل ، يريدون رؤية عزيز مصر ، ذلك الذى أكرمهم وأحسن إليهم ، إنهم يشعرون بميل شديد من أعماقهم ، نحو هذا الرجل لا يدرون ما أسبابه، ذلك لأنه أكبر وأقوى مما يسببه إكرامه لهم فى المرة الماضية . على كل حال ، إن تعجلهم الوصول إلى مصر ، فى ظاهره له سببان اثنان هما : الأمانة، والصدق . وأما الأمانة فهى رد البضاعة التى وجدوها فى أمتعتهم عند عودتهم إلى ديارهم ، وهى ثمن أوثاق الطعام التى أخذوها . وأما الصدق فهو ، تقديم أخيهم الحادى عشر ، الذى أخبروا العزيز عنه ، فصدقهم وأعطاهم لأجله حمل بعير ، برغم عدم وجوده معهم ، على أن يأتوا به معهم عند عودتهم للميرة مرة ثانية .

وعند وصولهم مصر، دخلوا متفرقين من أبواب متعددة، كما أوصاهم أبوهم ، وقد كانت تلك الوصية من نبى الله يعقوب، ترجمة لما يعتمل فى أعماق نفسه، وفى هذا المعنى يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه «القصص القرآنى»: وأيًا كان الأمر، فإنه شعور الأب الذى يتخوف على أبنائه ، نسمات الريح ، حين تهب عليهم ، فكيف وهم على سفر طويل ، وفى يد غربة بعيدة ؟! ثم كيف وفجيعته فى يوسف ، لاتزال تفرى كبده ، ثم ها هى ذى فجيعة أخرى ، تكاد تتمثل له فى ابنه الآخر : شقيق يوسف ؟!

يعقوب على علم بالله

﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٦٨) ﴾

هى حاجة فى نفسه أفضى بها ، هذا يقين ١٧
أعطاه رب العرش علمًا فوق علم الآخرين ١٨

قال الفخر الرازى فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ فقال الواحدى : يحتمل أن تكون ـ ما ـ مصدرية ، والهاء عائدة إلى يعقوب ، والتقدير : وإنه لذو علم من أجل تعليمنا إياه ، ويمكن أن تكون ـ ما ـ بمعنى الذى ، والهاء عائدة إليها ، والتأويل ، وإنه لذو علم للشىء الذى علمناه ، يعنى أنا لما علمناه شيئًا ، حصل له العلم بذلك الشىء ، وفى الآية قولان آخران :

الأول : أن المراد بالعلم ، الحفظ ، أى إنه لذو حفظ لما علمناه ومراقبة له .

الثانى : لذو علم لفوائد ما علمناه ، وحسن آثاره وهو إشارة إلى كونه عاملاً بما علمه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وفيه وجهان :

الأول : ولكن أكثر الناس لا يعلمون مثل ما علم يعقوب .

الثانى : لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة والعلم ، والمراد بأكثر الناس ، المشركون ، فإنهم لا يعلمون بأن الله كيف أرشد أولياءه ، إلى العلوم التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة .

يقول صاحب كتاب « تأملات فى سورة يوسف » : ولو أنه تعالى قدر عليهم سوءًا، لما نفعتهم نصيحة والدهم وعملهم بها ، ولكن الآية تنص صراحة ، على أن نصيحة يعقوب وتحذيرهم من العين ، كان من عالم الغيب والشهادة ، ومن علمه تعالى الذى علمه يعقوب ، فعمل به .

إن يعقوب لم يكن ليكتم علمًا علمه البارى إياه ، عن أى مخلوق ، فكيف إذا كان المنتفع من ذلك العلم أبناءه ! .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون ﴾ تنص على أن قليلاً من الناس فقط، هم المؤمنون ، الذين يؤمنون بهذا القرآن ، وبكل ما جاء فيه ، يعلمون ما علمه يعقوب ، من الجمع بين الأخذ بالأسباب ، وبين التوكل ، أما جمهور الناس ، فهم عن هذا غافلون .

قال القرطبى فى تفسيره : ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ أى بأمر دينه ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون ﴾ أى لا يعلمون ما يعلم يعقوب عليه السلام من أمر دينه .

وقيل: ﴿ لَذُو عِلْمٍ ﴾ أى عمل، فإن العلم أول أسباب العمل ، فسمى بما هو بسببه.

النيل : شريان الحياة فى مصر

.....

لـلـه درك أرض مصـر بـكـل خـيـر تـنـعـمـين ١٩
قـد كـنـت دومـا بـالـسـيـادة والحـضارة تُعْرَفـين ٢٠
الـنـيل فـيـك هـو الحـيـاة عـطـاء رب العـالـمـين ٢١
ولأنـت أم الـشـرق دومًا مـثـل أمّ لـلـبـنـين ٢٢
تـعـطـيـنه مـن كل شـيء ، لا بـشيء تـبـخـلـين ٢٣
لـولاك مات الـشرق جـوعًا مـنذ آلاف الـسـنـين ٢٤
لـولاك صـار الشـرق نـهـبًا لـلـغزاة الـفـاتحـين ٢٥

يا مصر! يا أرض الخصب والخير والنماء ، يا أرض الوفاء والعطاء ، يا أرض السيادة والحضارة منذ القدم ، فى حين كانت الأمم كلها ، تحيا حياة الفوضى ، إذ لا قانون ولا دستور ، جهالة جاهلية ، لا حضارة ولا مدنية . . وإنما هى شريعة الغاب .

إن الله وهب النيل لمصر، فهو شريان الحياة فيها . . هو معطاء دائمًا . . هو عطاء الخالق العظيم، لشعب مصر العظيم، الذى لا يكف عن العطاء، فى كل أحواله ، فى السراء وفى الضراء. إن مصر بشعبها العظيم المتمدين المتحضر، استحقت أن تكون سيدة للشرق كله، ولا غرو فالشرق بغير مصر، لا يمكن أن يقف فى مواجهة الأمم التى تنظر إليه على أنه غنيمة، يريدون أن يقتسموها فيما بينهم . . لقد أشار المصطفى محمد ﷺ إلى هذا المعنى حيث قال: «توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: وهل من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟! قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ولينتزعن الله من قلوب عدوكم المهابه منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟! قال: حب الدنيا وكراهية الموت. ولا غرو، فمصر كانت ولا تزال، هى القلعة الحصينة التى تتهاوى دون أسوارها كل غارات المغيرين ، الذين يريدون التهام الشرق ، على مدى أحقاب التاريخ . إن مصر دائمًا بالنسبة للشرق العَربى ، تشبه الأم الحانية . . والأم دائما تعطى ، لا تبخل بشيء مطلقًا ، تعطى كل شيء ، ولا تنتظر شيئًا .

وفى هذه القصة، دليل أكيد على صدق هذا المعنى، فلولا مصر، وخير مصر ، لمات الشرق جوعًا وذلك فى ظل سنى الجدب، السبع التى عمت بلاد الشرق، حيث هرع الناس من أنحاء الشرق، يطلبون الغوث، فوجدوه فى مصر. . وكما هرعوا إلى مصر لأجل الطعام، فهم طالما هرعوا ولا يزالون يهرعون إليها لدرء خطر الغزاة والمغيرين فى كل زمان .

يوسف يهمس لبنيامين : أنا أخوك

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) ﴾ .

واستقبل الصديق إخوته بشوق مع حنين ٢٦
دخلوا عليه فمال نحو أخيه ميل الهامسين ٢٧
أوحى له ، إنى أخوك ، وصرت فى أمن أمين ٢٨
من فعلهم فيما مضى ، لا تبتئس من حاقدين ٢٩

وصل أبناء يعقوب مصر ، ودخلوا المكان الذى يتم فيه نزول الوفود القادمة من كل أنحاء البلاد ،لأجل الميرة . . وقد كان يوسف الصديق ينتظر قدومهم بفارغ الصبر ، فهو فى شوق شديد ، لرؤية أخيه بنيامين .

ومنذ أن رآهم يوسف مقبلين ، هش لهم ، واستقبلهم بالبشر والترحاب ، ثم أخذ يصافحهم واحدًا واحدًا ، فلما صافح أخاه بنيامين ، همس إليه قائلاً : أنا أخوك يوسف ، فلا تخف من شيء،ومنذ الآن أنت فى أمن وأمان،لا تخش شيئًا ،ولا يؤلمنك ما كانوا قد فعلوه بك من قبل .

قال ابن كثير فى تفسيره : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ...﴾ إلخ .

يخبر تعالى عن إخوة يوسف،لما قدموا على يوسف ،ومعهم أخوه شقيقه بنيامين ، فأدخلهم دار كرامته،ومنزل ضيافته،وأفاض عليهم الصلة والإلطاف والإحسان، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه،وما جرى له ،وعرفه أنه أخوه وقال له : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .أى لا تأسف على ما صنعوا بى،وأمره بكتمان ذلك عنهم، وألا يطلعهم على ما أطلعه عليه،من أنه أخوه،وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززا مكرمًا .

قال القاضى بيضاوى فى تفسيره ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ...﴾ إلخ.

ضم إليه بنيامين على الطعام أو فى المنزل ، روى أنه أضافهم ، فأجلسهم مثنى مثنى ، فبقى بنيامين وحيدًا ، فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيًا لجلس معى ! فأجلسه

معه على مائدته ،ثم قال: لينزل كل اثنين منكم بيتًا ، وهذا لا ثانى له ، فيكون معى ، فبات عنده وقال له : أحب أن أكون أخاك بدل الهالك ، قال : من يجد أخًا مثلك ، ولكن لم يلدك يعقوب،ولا راحيل ،فبكى يوسف ، وقام إليه وعانقه وقال : ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِس﴾ فلا تحزن .

قال الفخر الرازى فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوك ﴾ فيه قولان :

قال وهب : لم يرد أنه أخوه من النسب ، ولكن أراد به أنى أقوم لك مقام أخيك فى الإيناس لئلا تستوحش بالتفرد . . والصحيح ما عليه سائر المفسرين من أنه أراد تعريف النسب ، لأن ذلك أقوى فى إزالة الوحشة وحصول الأنس ، ولأن الأصل فى الكلام الحقيقة ، فلا وجه لصرفه عنها إلى المجاز من غير ضرورة .

يستعدون للرحيل بعد إتمام الكيل

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ﴾

قد أنزلَ الصدّيقُ إخوتَه نزولَ المُكرَمين ٣٠
أعطى لهمْ ما قد أتَوا من أجلِه متكاملين ٣١
أعطى لكلٍّ منهمو حملاً فصاروا شاكرين ٣٢
قد جهزوا أوثاقهم بُراً لطعمِ الجائعين ٣٣
لم يبقَ إلا أن يعودوا بالغنيمةِ ظافرين ٣٤

لقد أمر الصديق عماله ومعاونيه ، أن يُنزلوا أبناء يعقوب خير منزل ، وأن يُكرَموا أحسن تكريم ، وأن تُهَيأ لهم إقامة طيبة ، ماداموا فى مصر ، إلى أن يرحلوا منها عائدين إلى موطنهم ، حيث يقيم أهلوهم . ثم أمر يوسف أن يعطى لكل واحد منهم حمل بعير من البر ، وهذا لعمر الله هو أهم ما جاءوا لأجله ، إنه الطعام . . قوام الحياة . . فلولا طلب الطعام ، لما عرفوا طريقهم إلى مصر ، ولولا مجيئهم مصر ، لما رأوا أخاهم يوسف الصديق ، ولما تم هذا الذى دبّر له يوسف !

أولا : طلب منهم أن يحضروا أخاهم الحادى عشر .

ثانيا : تخبئة صواع الملك فى رحل أخيه بنيامين ، توطئة لإبقائه عنده .

ثالثا: عودتهم بغير بنيامين . **رابعًا** : اشتداد حزن يعقوب على بنيامين .

خامسًا : تجدد أمل يعقوب بأن يوسف لا يزال على قيد الحياة ، فمن ثم يوصى أولاده بالعودة إلى مصر ، وليبحثوا عن يوسف وأخيه ، من غير يأس . هذه كلها أسباب ، أوجدها مسبب الأسباب ، إذ كل حدث له سبب ، وكل سبب يوصل إلى سبب آخر . . وهكذا تتصل الأسباب ، بعضها ببعض ، وفى النهاية ينكشف الغطاء ، وتظهر الحكمة الإلهية ، المطوية فى ثنايا الأحداث المؤلمة المتتالية . لسوف تتمخض تلك الأحداث القاسية فى منظرها، المرة فى وقعها على النفوس عن الآتى :

١ ـ جمع شمل يعقوب نبى الله على بنيه .

٢ ـ اعتلاء يوسف الصديق عرش مصر .

٣ ـ تحقق تأويل رؤيا يوسف بسجود إخوته الأحد عشر وأبيه وأمه .

على كل حال ، لقد انتهى أبناء يعقوب، من الكيل والميزان، ثم جهزوا أوثاقهم من البر واستعدوا للرحيل عائدين فرحين .

تآمر يوسف على أخيه ، ليبقيه عنده

﴿ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيه ... ﴾

لـكـنّ يـوسـفَ كـان مـن أعـمـاقه سـرٌّ دفـين ٣٥
الـسـرُّ يـعـلـمُه إلـه الـعـرشِ ربُّ الـعـالمين ٣٦
يَنـوى بـأن يُـبـقِى أخـاهُ بـحـيـلـة لا تـسـتـبين ٣٧
أوحـى إلـى غِلـمـانه قـولاً فـصَاروا فـاهمـين ٣٨
قـدْ غـافَلـوا إخـوانَه فـى خفّة المـتـسَلـلـين ٣٩
فـى رَحْلِ بنـيامـين قـد أخْفُوا الصـواعَ مخبّـثين ٤٠

أبناء يعقوب ، شدوا رحالـهم ، وحملوا متاعهم على إبلهم ، وتـأهبوا للرحيل ، ولم يبق إلا أن يودعوا العزيز ـ يوسف ـ لينطـلقوا عائدين إلى الأهل فرحين ، إنهم فى أشد الفرحة لسببين اثنين ، الأول : عودتهم بأخيهم بنيامـين ، حيث لم يصبه أذى أو سوء ، الثانى : حـصولهم على ما يريدون مـن الطعام ، كل واحد منهم حـمل بعير . بينما كان أبناء يعقوب يتأهبون للرحيل، كان يوسف الصديق قد قرر فى نفسه أمرًا ، هذا الأمر لم يكن قد أفضَى به لأحد قبل ذلك . . ولا يعلمه أحد إلا الله عز وجل .

هذا الأمر هـو : أن يوسف يريـد استبقاء أخـيه بنيـامين عنده ، دون أن يـكشف لإخوته عن حقيقة شخصيته، ذلك لأنه يريد أن يضايقهم قدر استطاعته، بل لعله يستطيع أن يضعـهم أمام أبيهم، فـى موضع اللوم المر، والـتأنيب القـاسى، والاتهام بسوء الـنية، لكونهم أضاعوا بنـيامين. فهم قبل ذلك أخذوا يوسف، ووعدوا أباهم بـحفظه ورعايته، ثم قالوا: أكله الذئـب، وهاهم أولاء هذه المرة قد أخذوا بنيامين، وأقـسموا بأغلظ الأيمان أن يحافظوا عليـه ، ولن يصيبه أذى أو سوء ما دام فيهم عين تطرف، بـيد أنهم لم يبروا بقسمهم ، ولم يـوفوا بعهدهم . . إذن فهى مؤامرة على الشيـخ ، وعلى ولديه: يوسف وبنيامين. لقد أمر يوسف غلمانه، أن يدسـوا صواع الملك فى رحل بنيامين، وذلك خفية بحيث لايشعر بهم أحد. . وفعلا لقد قام غلمان يوسف بتنفيذ أمر يوسف.

لقد اغتنموا فرصة انشغال إخوة يوسف ، ببعض الأمورالهامة، قبيل رحيلهم، فدسوا صواع الملك فى رحل بنيامين.

والآن لم يبق إلا المفاجأة المذهلة، حيث ينادى المنادى بأن شيئاً هاما قد فقد ومن ثم تبدأ مشكلة جديدة لم تكن فى حسبان أحد من أبناء يعقوب.

المنادى يقول لكل القوافل: إنكم سارقون

﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

إخـوانُ يوسـفَ قد تـنادَوا لـلرحـيلِ مـبادِريـن ٤١
وإذا المـنـادِى فى الـوفـودِ وصـوتُه كـالمنـذِريـن ٤٢
نـادَى علـى كلِّ الـقوافـلِ قـائلاً : يـا سارِقـين ٤٣
لا تـرحـلـوا حـتـى نراكُم بـاحـثِين ونـسـتَبِين ٤٤
شيـئًا ثميـناً قد فـقدنَا ، فاعـلمُوا العـلمَ اليـقين ٤٥

لم يبق أمام أبناء يعقوب الآن إلا أن يرحلوا، لـقدودعوا العزيز وشكروه على حسن استقباله لهم، وعلى تزويدهم بأوثاق الطعام. وفعلاً، لقد تنادوا.. الرحيل الرحيل.. وإذا المنادى ينادى بصوت جهورى، يسمعه القاصى والدانى. المنادى يقول: أيها الوفود الوافدة! أيها الرجال! اسمعوا وعوا، لقد فقدنا شيئاً ثميناً، انتظروا جميعاً، لا تبرحوا المكان، لابد أن نجد هذا الشىء الذى فقدناه، وإن لـم نجده فسوف يكون لـنا معكم موقـف آخر، قد لا ترضونه ! لا يرحلنّ أحد منكم ، لسوف نبحث عن هذا الشىء حتى نجده ، هذا الشىء الذى فقدناه، هو خاص بالملك، وتالله لو علم الملك بفقده، فسوف يغضب غضبًا لا مزيد عليه، وقد يترتب على هذا الغضب أشياء خطيرة. وهكذا لقد قذف رجال يوسف الوفود بتهمة السرقة .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى « القصص القرآنى » : وفى المناداة عليهم بهذا النداء ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ ﴾ دون المناداة عليهـم بالنداء « أيها الركب أو يا أصحـاب العير » فى هذا دعوة لهم إلى أن يتوقفوا عن المسير، لأن العير هى المنظور إليها ، عند هذا النداء ، وأن عليها أن تقف.. ولهذا حسن مخاطبتها ، لأنها هى المطلوبة أولاً ، فإذا وقفت كان للمنادين شأنهم مـع راكبيها ، ولهذا فإنه ما إن صدر النداء « أيتها الـعير » حتى توقفت بفعل أصحابها ، وما إن توقفت حتى توجه الخطاب إلى أصحابها ﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ .

قال القاضى بيضاوى فى تفسيره : ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ نادى ساد ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ لعله لم يقله بأمر يوسف عليه السلام ،أو كان تخبئة السقاية والنداء برضى بنيامين، وقيل: معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيـه، أو إنكم لسارقون، العير: القافلة، وهو اسم الإبل التى عليها الأحمال .

أبناء يعقوب يتساؤلون : ماذا تفقدون ؟!

﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

إخوانُ يوسفَ ساءهُم ، قولُ المنادى المستَهين ٤٦
قالوا لهُ : ماذا تريُد ؟! تساؤلَ المستفهمين ٤٧
ماذا فقدتُم ! أخبِرونا . . ! ولْتكُونوا صادقين ٤٨
لا ، لا تسيئُوا الظن فينَا ، لا تكونوا مفتَرين ٤٩

صوت المنادى صك أسماع الناس جميعًا ، قاصيهم ودانيهم ، ولا غرو فالنداء لكل الوفود ، من كل أنحاء الأرض ، لأجل الميرة .لقد كان وقع هذا الخبر سيئا ، على أسماعهم ونفوسهم . . فالمنادى يقول: ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ لقد صاروا جميعًا يتساءلون فيما بينهم، ما هو الشيء المسروق ؟! ثم من ذا الذى عساه أن تسول له نفسه ، فيسرق شيئًا قل أوجل ، وممن ؟!من الرجل الذى يمد يده للجميع بما فيه قوام حياتهم ؟! هذا لعمر الله ـ إن صح ـ يعتبر جحودًا ، وإنكارًا للجميل ، ومقابلة الحسنة بالسيئة .

بعد أن بلغ صوت المنادى ، كل الوفود التى كانت قد تهيأت للرحيل ، ومنهم أبناء يعقوب ، أناخ الجميع إبلهم وأنزلوا أمتعتهم من على ظهور الإبل ، انتظارًا للتعليمات التى سوف تعقب هذا النداء .فمن المؤكد أن أمرًا ما سوف يصدره العزيز،وهذا الأمر له علاقة بالشيء المسروق ، وهذا الأمر سيكون على الأقل ، إرجاء رحيل الوفود الآن .

بيد أن الجميع اتجهوا نحو المنادى ومن معه ، فسألوهم قائلين : ﴿ ... مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ ؟! أخبرونا ، أى شيء فقدتموه ؟! أخبرونا بالصدق ، فنداؤكم هذا قد أساء لنا جميعًا ، ويبدو أن المتسائلين كانوا هم أبناء يعقوب . . ثم أردفوا قائلين : ليس من المعقول ، أن يرتكب هذه الحماقة أحد من كل الوافدين ، أهكذا يكون ردّ الجميل ؟! هذا لا يمكن أن يقبله عقل مطلقًا .وقبل أن يجيب المنادى على تساؤل السائلين ، كان الهمس بين رجال الوفود قد أخذ شكل العلانية ، لابد أن شيئًا هامًا فقده القوم ، إذن فلابد أن يجدوه حتى يأذنوا للوفود بالرحيل . . وإذا لم يجدوه ، فلابد أن إجراء ما سوف يتخذونه حيال هذا التصرف السيىء من قبل الوفود .

المفقود صواع الملك ، ونعطى حمل بعير لمن يجىء به

﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) ﴾

قالوا : فقَدنا غاليًا ، فلذا غدْونا سائلين ٥٠
ذاكم صواع للمليك ، وإنه شيءٌ ثمين ٥١
مَن رَدّه ، فلسوفَ نشكُره بأسلوبٍ مُبين ٥٢
وينالُ أيضًا حِملَ بُرّ فوقَ حِملَ الوافدين ٥٣
ولسوفَ نوفِى ، لن نكونَ لما وعدْنا جاحِدين ٥٤

لقد تلكأ المنادى فى الإجابة على السؤال الذى سألوه عن نوع الشىء المسروق . . وقد كان بلا شك تلكؤًا مقصودًا ، وذلك ليلقى فى روع السامعين خطورة هذا الأمر .

ولا غرو فقد كان هذا المنادى هو أحد الذين شاركوا فى تنفيذ خطة إخفاء الصواع فى رحل بنيامين . ثم تكرر السؤال للمنادى! أخبرونا ، ماذا فقدتم ؟! فأجاب قائلاً: إن الشىء الذى فقدناه، هو إحدى التحف الثمينة التى يعتز بها الملك . . يالله !! إن الإجابة على تساؤل المتسائلين ، كانت إجابة مدروسة ، أعدت بحكمة وإتقان . . ذلك لأنها أضافت إلى الأمر هولاً وخطورة . . ولم لا ؟! فالشىء المسروق خاص بالملك نفسه .

لقد أسقط فى أيدى القوم ، فتهامسوا فيما بينهم قائلين : مادام الأمر يتعلق بالملك فلابد أن يكون العقاب صارمًا ، ولا ندرى ما هو بالتأكيد . ثم أردف المنادى قائلاً بعد أن أفصح عن نوع الشىء المسروق: إننا لا نبغى أن نشق عليكم، فالذى أخذ صواع الملك ، فليرده إلينا قبل أن نتخذ أى إجراء جزائى ، وللعلم فمن يرده إلينا قبل أن نتخذ إجراء جزائيًا ، فسوف نكافئه على هذا ، ولن نعتبره سارقًا ، بل سوف نعطيه حمل بعير من البر ، وسوف ننظر إليه على أنه رجل أمين .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه « القصص القرآنى » : ﴿ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ إن الذى يفقدونه، ويتهمون الركب بسرقته ، هو صواع الملك ، وهو السقاية التى هى القدح الذى يشرب فيه الملك شرابه ، وأن من جاء بهذا المسروق ، قبل أن ينكشف أمر السارق ، فإن له جزاء هذا حمل بعير ، وإن هذا الحمل فى ضمانة رئيس الجماعة المنتدبة للبحث عن صواع الملك ، فهو بهذا الوعد زعيم ، أى كفيل به وضامن له » .

أبناء يعقوب يتبرأون من تهمة السرقة

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) ﴾

قَالـوا لهـم : تاللـه ما كـنا جـميعًا مـفسدين ٥٥
نـحنُ الـكرام بـنو الـكرامِ مـنَ الجدودِ الأولـين ٥٦
أفـمَا علـمتُم أنـنا مـن آلِ بـيتِ المرسَلـين ؟! ٥٧
لـسـنـا بـحـمدِ الـلـه خُوّانًا ، ولـسـنَا سَارِقـين ٥٨

لقد أجاب أبناء يعقـوب ، فنفوا عن أنفسهم تهمة السرقـة بكل قوة وحزم ، فقالوا لأعوان يوسف : نحن أبعد ما نكون عن هذه التهمة ، لعدة أسباب :

أحدها : نحن أبناء نبى الله يعقوب بن اسحاق نبى الله ، بن إبراهيم خليل الله ، أى أننا سلالة آباء كـرام ، ومن ثم فلا يمكن أن ننزل إلى حضيض الـسلوك الإنسانى ، فنلوث شرفنا ، ونسىء إلى عرقنا وتاريخنا ، وبارتكاب هذه الجريمة القذرة .

ثانيها : وذلك دليـل على صدق ما نـقول : إنا رددنا البضـاعة التى وجدنـاها فى رحالنا ، رددناها بعد أن وصلنا إلى بلادنا فى الشام ولم يكن أحد منكم يعلم عنها شيئًا ، وإنما رددناها لأننا أمناء لا نقبل ولا نأخذ ما ليس لنا .

ثالثها : لقد قلنا للعـزيز : إن لنا أخًا تركناه عند أبيه كى يسلـيه ويؤنسه فى وحدته أثناء غيبتنا ، فقـال لنا : هاتوه معكم لكى أراه . فأحضرناه معنـا ، فمن ثم تبين العزيز صدق قولنا . . « ومن كان الصدق منهجه ، فلا يمكن أن يكون سارقًا » .

رابعها : أن العزيز قد أنزلنا منزلاً حسنًا ، وأكرمنا غاية الإكرام ، ولم يكن هذا عبثًا ، فهو قد علم بفراسته وفطنته ، أننا أهل للتكريم ، فأمر بإكرامنا .

قال القرطبى فى تفسيره ﴿ **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ** ﴾ : يروى أنهم كانوا لا ينزلون على أحد ظلـمًا ، ولا يرعون زرع أحد ، وأنهم جمعوا على أفواه إبلهم الأكـمّة لئلا تعبث فى زروع الـناس ، ثم قال : ﴿**وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾ يروى أنهم ردوا البضاعة التى كانت فى رحالهم . . أى فمن رد ما وجد ، فكيف يكون سارقًا ؟!

وقال القاضى بيضاوى فى تفسيره : ﴿ قَالُوا تَاللَّه ﴾ قسم فيه معنى التعجب ، والتاء بدل من الياء ، مختصة باسم الله ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِين ﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم ، لما عرفوا عنهم فى كرتى مجيئهم ، ومداخلتهم للملك ، مما يدل على فرط أمانتهم ، كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وتكمم الدواب لئلا تتناول زرعا أو طعامًا لأحد .

يتفقون على عقوبة السارق

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) ﴾

قالـوا : فَإنا سوفَ نـبحثُ فى الـرحالِ مفـتِّشين ٥٩
إذْ ما وجـدنا صَاعـنا فـى رَحْلِ أحدِ الـوافديـن ٦٠
ماذا يـكون جزاؤه ؟! فلـتحكُموا الحَـكمَ الأمِين ٦١

قال عمال يوسف الصديق ، المكلـفون بالبحث عن الصواع المسروق : ﴿ **قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ؟!** ﴾ . أى أنتم ترفضـون هذا الاتهام ، وتنفونه عن أنفـسكم نفيًا قاطعًا ، فى حين أننـا نؤكد لكم أن صواع الملك قد فقد . وفى الـوقت نفسه ، لا نزال نقول : من أخذه فليرده ، وبدلاً من أن نوجهّ له تهمة السرقة ، سوف نشكره ، ونزيده حملاً من البر أيضًا . وما دمتم ترفضون هذا الاتهام ، فإننا سوف نقوم بتفتيش الرحال ، بحثًا عـن الصواع المفقـود . بيد أننا قـبل أن نبدأ حمـلة البحث والـتفتيش عـن الصواع المفقود ، نريد أن نسألكم سؤالاً واحدًا ، ونرجوا أن تجيبوا عنه إجابة واضحة . . !

هذا الـسؤال هو : ترى ماذا يكـون جزاء من وجدنـا الصواع فى رحلـه؟! وقد كان الـسؤال موجهًا بالدرجـة الأولى ، لأبناء يعقوب . ذلك لأنهم هم الذين كـانوا يتحدثون مع أعوان يوسف ، بالأصالة عن أنفسهم ، وبالنيابة عن الآخرين ، لأنهم أكثر عددًا وتوحدًا فى الرأى ، لكونهم أخـوة أبناء رجل واحد . لقد فوجىء أبناء يعـقوب بهذا السؤال ، فهم أبناء يعقوب نبى الله ، وبالتالى فهم يحتكمون إلى شريعة . . أما أهل مصر ، فليسوا مثلهم ، فـهم يحتكمون إلى قانون وضـعى . . فبماذا يجيبون عـن سؤال أعوان يوسف بالنسبة لعقوبة السارق ؟! هل يحكمون عليه بشرع يعقوب؟! أم بقانون أهل مصر .

قال صاحب كتـاب : « تأملات فى سورة يوسف » فى قـوله تعالى : ﴿ **قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ** ﴾ بقصد أخذ الحكم على الـسارق من أفواه الإخوة ، وذلك كما هو معلوم ، بإيـحاء من الله تعالى إلى يوسـف ، قال تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ فإن ذلك يدل على أن هؤلاء السائلين إنما سألوا بإيحاء من يوسف الذى نبههم إلى ضرورة طرح هذا السؤال .

جزاء السارق .. أن يؤخذ بجريمته

﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) ﴾

إخْوانُ يُوسُف قَدْ أجَابُوا حَيْثُ كَانُوا غَاضِبِين ٦٢
هَذِى الرِّحَالُ فَفَتِّشُوهَا ، إن تَشَاءُوا بَاحِثِين ٦٣
إذ مَا وَجَدْتُم صَاعَكُم فِى رَحْلِ أحَدِ السَّامِعِين ! ٦٤
فَلْتَأْخُذُوهُ بِهِ لَكَى يُجْزَى جَزَاءَ الخَائِنِين ٦٥

﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ هكذا كان جواب أبناء يعقوب ، عن سؤال أعوان يوسف الصديق، حينما قالوا لهم : ﴿ ... فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴾؟! كانت إجابتهم ممزوجة بغضب وحماس شديدين، ثم أردفوا قائلين: هيا، هذه الرحال ففتشوها ، فتشوا كل الأمتعة ، لا تتركوا شيئًا من أمتعة الوافدين دون أن تفتشوه . فإذا ما وجدتم الصواع المفقود الذى تتحدثون عنه، فى رحل أحد من الوفود ، فخذوه به ، خذوه بجريمته ، فليكن رقيقًا عندكم ، ولن تجدوا أحدًا منا يشفع له . . هذا لعمر الله هو شرعنا الذى نحتكم إليه عندنا !! ولا غرو فالسارق خائن ، والخائن ينبغى أن يعاقب على خيانته ، دونما عطف أو رحمة . هذه الإجابة من أبناء يعقوب . . هى التى كان ينتظرها يوسف الصديق ، لكى تكتمل الحيلة التى دبرها لاستبقاء أخيه بنيامين عنده .

قال ابن كثير فى تفسيره : ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾، وهكذا كانت شريعة إبراهيم ، أن السارق يُدفع إلى المسروق منه . . هذا هو الذى أراد يوسف عليه السلام .

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى « القصص القرآنى » : ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ . أى أن جزاء السارق ، هو أن يؤخذ بجرم ما سرق . إنه وحده الذى يتحمل وزر ما فعل ، وذلك هو شرعنا الذى ندين به ، فلا تزر وازرة وزر أخرى .

وقال القرطبى فى تفسيره : ﴿ جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ أى يستعبد ويسترق ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ أى كذلك نفعل فى الظالمين ، إذا سرقوا أن يسترقوا وكان هذا دين يعقوب عليه السلام وحكمه .

وقولهم هذا، قول من لم يسترب نفسه، لأنهم التزموا استرقاق من وجد فى رحله، وكان حكم السارق عند أهل مصر، أن يغرم ضعفى ما أخذ . قاله الحسن والسدى وغيرهما .

إخراج الصواع من رحل بنيامين

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾

قد سُرَّ يوسُفُ من إجَابتهم سُرُور الفَائزين ٦٦
من ثَم صَار يُفَتِّشُ الأحْمَال تَفْتِيشَ الأمين ٦٧
بَدْءًا بأمْتعَة الكِبَار ، لكَى يَظَلوا غَافلين ٦٨
فى رَحْلِ بِنْيَامين كَانَت دَهْشَة للنَّاظرين ٦٩
وَجَدُوا الصُّوَاعَ مُخبأً فِى رَحْله ، هَذَا يقين !! ٧٠

لما سمع يوسف الصديق إجابة إخوته . . وهى تطبيق شرع يعقوب على من سوف يجدون الصواع فى رحله . . وهو أن يؤخذ السارق بجريمته . . فيصير عبدًا رقيقًا لمن سرق منه . سُرَّ يوسف بهذا ، لقد نجحت حيلته لاستبقاء أخيه بنيامين عنده !! فمن ثم بدأ هو ورجاله تفتيش الرحال ، وإمعانًا فى تثبيت وترسيخ الحيلة ، فى نفس الجميع ، بدأوا التفتيش فى رحال أبناء يعقوب الكبار ، وذلك لكى لا يراودهم أدنى شك فى الأمر . لقد انتهوا من تفتيش رحال أبناء يعقوب الكبار ، ثم جاءوا بعد ذلك ليفتشوا رحل بنيامين . . ذلك الغلام الذى اختير ليكون كبش الفداء ، فى جريمة لا يدرى من أمرها شيئًا . بدأوا تفتيش رحل بنيامين ، وبعد لحظات من بدء التفتيش ، وقعت المفاجأة التى لم تكن متوقعة . . ياالله !! لقد وجدوا الصواع المفقود فى رحل بنيامين . . وذلك أبعد ما يمكن أن يفكر فيه أحد ، أو أن يحوم بتفكيره حوله . . لم يدر بخلد أبناء يعقوب أن أخاهم هذا ، قد يكون سارقًا .

قال القرطبى فى تفسيره ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ : إنما بدأ يوسف برحالهم ، لنفى التهمة والريبة من قلوبهم ، إن بدأ بوعاء أخيه ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ يعنى بنيامين ، أى استخرج السقاية أو الصواع .

فلما رأى ذلك إخوته، نكسوا رؤوسهم ، وظنوا الظنون كلها ، وأقبلوا عليه وقالوا : ويلك يا بنيامين ! ما رأينا كاليوم قط ، أمك راحيل ولدت أخوين لصين ، قال لهم أخوهم : والله ما سرقته ، والله ما سرقته ، ولا علم لى بمن وضعه فى متاعى . ويروى أنهم قالوا له : يا بنيامين ! أسرقت ؟ قال لا والله ، قالوا : فمن جعل الصواع فى رحلك ؟! قال : الذى جعل البضاعة فى رحالكم !

يوسف يطبق على أخيه شريعة أبيه

﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ... ﴾

مِنْ أجْلِ مَا يَبْغِيهِ يُوسُفُ صَارَ كَالمُتآمِرِين ٧١
تِلكُم إرادتُه تَلاقَتْ مَع إله العَالمِين ٧٢
لَا يَنْبَغِي أخْذُ البَرِيء كَأخْذ بَعْضِ المجْرِمِين ٧٣
لكنْ إذَا شَاءَ الإله ، فَقِفْ وُقُوفَ الخَاشِعِين ٧٤

لقد تصرف يوسف الصديق عليه السلام ، لأجل استبقاء أخيه عنده ، تصرفًا يضع موضع اللوم، لقد غامر يوسف بهذا التصرف الذى لا يليق بنبى مله ، لقد ركب الصعب لأجل تحقيق غرضه .إذ لا ينبغى أن يضع أخاه البرىء فى صورة السارق المجرم ، مهما كانت الأهداف التى قد تتحقق من وراء هذا العمل . . بيد أن يوسف عليه السلام أقدم على هذا التصرف بتدبيره وإرادته ، ولكنه كان فى الوقت نفسه ، يسير فى فلك المشيئة العليا ، وهل يقع فى كون الله إلا ما شاء الله ؟! إن يوسف عليه السلام أخضع أخاه بهذه التصرف لنظام الرق والعبودية. .الرق الذى ضرب عليه هو من قبل ، ودونما ذنب جناه ، وهكذا هو موقف بنيامين أيضًا .ولا غرو فنحن أمام إرادة عليا ومشيئة سامية ، لا نملك إلاّ أن نحنى رءوسنا لها ، تسليمًا وإجلالاً وتعظيمًا .

ذلك لأن تفكيرنا قاصر عن إدراك حقيقة ما هو مخبوء فى ضمير الغيب ، فكيرًا ما تكون الأحدا المرئية مستنكرة فى نظر كل من شاهدها ، وذلك لقسوتها بالنسبة لشخص ما،وهى فى الوقت نفسه تكون سبيلاً لسعادته ورفعته.وهذا ما تمخضت عنه الأحداث ، بالنسبة ليوسف عليه السلام ، أما بالنسبة لبنيامين ، فلا بأس أن يُبتلى بما يكره ، وصولا إلى ما يكون فيه سعادة الأسرة كلها بحيث يتم جمع شملها بعد التفرق .إن الله عز وجل ، هو مالك الملك ، لا شريك له فى ملكه . . وإذا أراد أمرًا أمضاه .

قال القرطبى فى تفسيره:﴿ دِينِ الْمَلِكِ ﴾ أى سلطانه ، عن ابن عباس ابن عيسى : عادته ، أى يظلم بلاحجة :مجاهد:فى حكمه ؛وهو استرقاق السراق : ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أى إلا بأن يشاء الله،أن يجعل السقاية فى رحله ، تعلة وعذرًا له ، وقال قتادة : بل كان حكم الملك الضرب والعزم ضعفين ، ولكن شاء الله أن يجرى على ألسنتهم حكم بنى إسرائيل ، على ما تقدم .

يوسف أساء إلى أخيه بتطبيق قانون الملك عليه

﴿اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)﴾

اللَّهُ يَرْفَعُ منَ يَشَاءُ إلى مَقَامِ المحْسنين ٧٥
العِلْمُ لَيْس لَه كَبيرٌ ، فَاعْلَمُوا العِلْم اليَقين ٧٦

الله عز وجل صاحب القوة والجبروت ، يرفع ويخفض ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ولا ندرى حكمته فى كونه ، وما علمنا مع علم الله سبحانه وتعالى ، إلا كنقطة فى بحر لجى بعيد الغور ، مترامى الأطراف .

ـ قال الشيخ الصابونى فى « صفوة التفاسير » فى قوله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ أى نرفع بالعلم منازل من نشاء من عبادنا ، كما رفعنا يوسف ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ أى فوق كل عالم من هو أعلم منه ، حتى ينتهى إلى ذى العلم البالغ ، وهو رب العالمين . . قال الحسن : ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهى العلم إلى الله ، وقال ابن عباس : الله العليم الخبير فوق كل عالم .

ـ قال الفخر الرازى فى قوله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ هو أنه تعالى يريه وجوه الصواب فى بلوغ المراد ، ويخصه بأنواع العلوم ، وأقسام الفضائل ، والمراد هاهنا أنه تعالى رفع درجات يوسف عليه السلام على إخوته فى كل شىء .

واعلم أن هذه الآية تدل على أن العلم أشرف المقامات ، وأعلى الدرجات ، لأنه تعالى لما هدى يوسف عليه السلام ،إلى هذه الحيلة والفكرة ، مدحه لأجل ذلك فقال تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ وأيضًا وصف إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ [الأنعام :٨٣] عند إيراده ذكر دلائل التوحيد والبراءة عن إلهية الشمس والقمر الكواكب.

ووصف هاهنا يوسف أيضًا بقوله : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ﴾ لما هداه إلى هذه الحيلة،وكم بين المرتبتين من التفاوت. .ثم قال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ والمعنى أن إخوة يوسف عليه السلام ،كانوا علماء فضلاء، إلا أن يوسف كان زائدًا عليهم فى العلم .

واعلم أن المعتزلة احتجوا بهذه الآية،على أنه تعالى عالم بذاته لا بالعلم ، فقالوا : لو كان عالما بالعلم،لكان ذا علم، ولو كان كذلك لحصل فوقه عليم ، تمسكًا بعموم هذه

الآية، وهذا باطل . واعلم أن أصحابنا قالوا : دلت سائر الآيات ، على إثبات العلم لله تعالى ، وهى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان: ٣٤] ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فصلت : ٤٧] وإذا وقع التعارض ، فنحن نحمل الآية التى تمسك الخصم بها، على واقعة يوسف وإخوته خاصة .

الحراس يقتادون بنيامين بجريمته

.....

قَدْ تَم مَا يَبْغِيه يُوسُفُ ، إنّه كَيْدٌ مَتِين ٧٧
لكنّه كَيْدٌ أصَابَ أخَاهُ دُون الآخَرين ٧٨
أخَذُوه أخْذَةَ سَارِق ، والكُلُّ كَانُوا نَاظِرين ٧٩
الكُلّ يَفْغَرُ فَاهُ دَهْشًا ، إنّه حَقّاً أُهين ٨٠
إذْ كَوْنُ بِنْيامِين يَسْرِقُ ، قَدْ غَدَوْا مُسْتَغْرِبين ٨١

لقد تمت المكيدة التى دبرها يوسف الصديق ، لاستبقاء أخيه بنيامين عنده . . إنها مكيدة تفتق عنها فكر عبقرى . . هو فكر يوسف الصديق ، فهو الذى فكر وخطط ، وقد قام عماله بتنفيذ الفكرة . . فنجحت تمامًا . هذه المكيدة كانت بالنسبة ليوسف الصديق ، هدفًا يرنو إليه ، ومن ثم فنجاحها حقق له أمنية كانت تجيش فى صدره ، وتداعب خياله . هذا بالنسبة ليوسف عليه السلام . . أما بالنسبة لبنيامين ، فقد كانت هذه المكيدة كارثة ، حطمت أو كادت تحطم حياته ، حاضرا ومستقبلاً ! ولم لا ؟! فلقد سيق بنيامين ، كما يساق المجرمون ، أخذوه بجريمته ، وقد كان ذلك أمام الجميع . لقد ألجمت الدهشة ألسنة أبناء يعقوب ، وأسقط فى أيديهم ، فلم ينبس أحد منهم ببنت شفة آنذاك . وطبيعى أن السارق حينما يؤخذ بجريمته ، لن يعامل معاملة حسنة ، بيد أن يوسف كان على رأس الفئة الذين قاموا بتفتيش الرحال ، والذين أخرجوا الصواع من رحل بنيامين . . فلم يترك بنيامين للإهانة . . وفى الوقت نفسه لقد كان أعوان يوسف ، هم الذين نفذوا فكرة إخفاء الصواع فى رحل بنيامين ، إذن فهم يعلمون جيدًا أن بنيامين ليس سارقًا .

لقد كان لسان حال الجميع ، استبعاد كون بنيامين يسرق . . بيد أنهم رأوا بأعينهم رجال يوسف الصديق ، حينما استخرجوا الصواع من رحل بنيامين ، وبرغم هذا ، فهم فى شك مما رأوا . . لا يكادون يصدقون أعينهم .

تحير أبناء يعقوب أمام هذا الموقف

.....

صَارُوا حَيَارَى ، إنّهم بِالْغَيْبِ لَيْسُوا عَالمين ٨٢
هُم فِى تَحَيُّرِهم ويُوسُفُ فِى سُرُور ، لا يُبين ٨٣
إذْ أنّ يُوسُفَ كَانَ مَحْزُونًا لِعَشَرَاتِ السّنين ٨٤
وبَقَاءُ بِنْيَامين سَوْفَ يُبَدّدُ الحُزْنَ الدّفين ٨٥
أخَوَان كَانَا مُبعَدَيْن ، فأصبحا متقاربين ٨٦
ربّ السَّماء هُوَ القَدِيرُ ، لِيَجْمَع المتَفَرّقين ٨٧

بعد لحظات من وقوع هذا الحدث الجلل ، الذى اعتبر بنيامين بسببه سارقًا . . صار أبناء يعقوب فى حيرة من أمرهم . . لم يدر بخلد أحدهم أن أخاهم بنيامين ، ربما يكون سارقًا يوما ما، وتحت أى ظرف من الظروف. وبينما كان أبناء يعقوب فى حيرتهم ، التى شلت تفكيرهم، وقضت على آمالهم التى كانوا يحلمون بها، ألا وهى عودتهم سالمين غانمين لأهليهم، لقد كانوا قبيل وقوع هذا الحدث، يهنئون أنفسهم، لأنهم سيعودون لأبيهم، ومعهم الميرة ، وفى الوقت نفسه أوفوا بعهدهم لأبيهم ، فحافظوا على أخيهم بنيامين ، وقد عاد معهم !! بيد أن هذا الحدث حطم آمالهم ، فصاروا ذاهلين من هول المفاجأة .

أقول: بينما هم كانوا فى حيرتهم، يفكرون فى المصيبة التى وقعت بهم، كان يوسف الصديق فى الوقت نفسه ، سعيدًا مسرورًا . . بيد أنه كان سرورًا مكتومًا فى أعماقه . . ولا غرو فلا بأس أن يشعر يوسف بشىء من السعادة والسرور ، فكفاه مالاقاه من آلام وأحزان فيما مضى، ولا بأس إن يشعر إخوته بشىء من الألم والحزن . . فطالما سُروا وسعدوا بتنفيذ خططهم الإجرامية .

إن استبقاء بنيامين، هو جزء من خطة كبيرة، سوف تتبدى شيئًا فشيئًا ، كل شىء فى حينه. يالله!! يوسف وبنيامين أخوان لأب وأم، لقد ضربت الأيام ضربتها، ففرقت بينهما لعشرات السنين ، ثم أراد الله لهما باللقاء بعد الفراق . . وإذا أراد الله أمرًا أمضاه .

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا